

## الفصل الرابع

### الدولة الطولونية

(٢٥٤-٢٩٢هـ / ٨٦٨-٩٠٤م)



## الفصل الرابع

### الدولة الطولونية

٢٥٤ - ٢٩٢ هـ / ٨٦٨ - ٩٠٤ م

ساعد موقع مصر الجغرافي بعض ولايتها علي الاستقلال بها في العصر العباسي الأول، وشجع أولئك الولاة علي ذلك بعد المسافة بين العاصمة في مصر - الفسطاط - والعاصمة العباسية في بغداد ، وأول أولئك هو السري بن الحكم (٢٠١هـ/٨١٦م) الذي استطاع أن يجعل نفسه واليا مستقلا علي مصر، وأن يجعل ولايتها في أبنائه من بعده مع بقائها تابعه اسميا للخلافة العباسية ، وكانت حركته قد بدأت في تنيس بشرق الدلتا<sup>(١)</sup>. وتميزت الفترة التي سبقت قيام الدولة الطولونية بالاضطرابات داخل الدولة العباسية بسبب سياسة العباسيين التي قامت علي كثرة تغيير الولاة لئلا يطمعوا في الاستقلال بالبلاد ، كما أصبح معظم الولاة منذ سنة ٢٤٢هـ/٨٥٦م من الأتراك ، وذلك بعد صرف آخر والي عربي علي مصر وهو عيسى بن اسحاق الذي أسندت إليه ولايتها سنة ٢٣٨هـ/٨٥٢م ، ولم يلبث أن عزل عنها سنة ٢٤٢هـ/٨٥٦م<sup>(٢)</sup>.

وإزاد نفوذ الترك في دار الخلافة ، وأخذ الخلفاء يقطعون الأمراء بعض الأقاليم ، وكان هؤلاء الأمراء يفضلون البقاء ببغداد حتى يأمنوا الدسائس ضدهم ، كما أن الخليفة كان يفضل أيضا بقاءهم بجواره حتى لا يفكروا في الاستقلال عن الخلافة ، وإذا كان هؤلاء الأمراء يرسلون من ينوب عنهم لحكم هذه الأقاليم يدعون لهم بعد الخليفة في خطبة الجمعة، ويرسلون لهم الخراج ويدينون لهم بالطاعة والولاء<sup>(٣)</sup> ، وكان من اثر هذه السياسة

(١) الكندي: ولاة مصر ، ص ١٦٥-١٦٧ ، بر عبد الرحمن: الدولة العباسية ، ص ٩٢.

(٢) المقرئ: الخطط ، ج ١ ص ٣١٢.

(٣) محم حنفي المناوي: مصر في ظل الإسلام ، ج ١ ص ٥٢.

أن عمد بعض النواب إلى الاستقلال بمصر عن الخلافة العباسية بعد أن تطرق الضعف إليها<sup>(١)</sup>

في ظل هذه الظروف كان وجود أحمد بن طولون في مصر، حيث كان والده طولون الذي يعني اسمه البدر الكامل في اللغة التركية<sup>(٢)</sup> مملوكا تركيا جلب إلي دار الخلافة العباسية، حيث كان من الرقيق الذين أرسلهم نوح بن أسد الساماني عامل بخاري للخليفة المأمون سنة ٢٠٠هـ/٨١٥م، وتدرج في المناصب حتى وصل إلى منصب رئيس حرس الخليفة وكان ذلك سنة ٢٢٠هـ/٨٣٥م<sup>(٣)</sup>.

خلال هذه الفترة أنجب طولون ابنه أحمد سنة ٢٢٠هـ/٨٣٥م<sup>(٤)</sup>، وبعد وفاة والده سنة ٢٤٠هـ/٨٥٤م نال هو وأخوه موسى رعاية الجند الأتراك، وتزوجت والدتهما زعيما يدعي "بغا"، ثم تزوجت من باكباك الذي خلف "بغا" في وظيفة البلاط العباسي<sup>(٥)</sup>، ثم تزوج أحمد بن طولون من خاتون ابنة أحد زعماء الترك ويدعي "يارجوخ"، وهي التي أنجبت له ابنه الأكبر العباس.

جاء أحمد بن طولون مصر نائبا عن واليها الأصلي باكباك من قبل الخليفة المعتز سنة ٢٥٤هـ/٨٦٨م، وتقلد الفسطاط وأسيوط وأسوان دون الأعمال الأخرى مثل الإسكندرية وغيرها، وبهذا شارك ابن طولون آخرين في الإدارة المصرية، منهم أحمد بن المدير عامل الخراج الذي كان منافسا خطيرا له<sup>(٦)</sup>

ولما توفي الوالي التركي باكباك تولى أمر مصر يارجوخ الذي عمل علي تثبيت صهره أحمد بن طولون في مصر نيابة عنه، بل أطلق يده فيها وقال له: "تسلم من نفسك لنفسك"<sup>(٧)</sup>، ومن ثم أتاحت الفرصة لأحمد بن طولون للتخلص من أحمد بن المدير عامل

(١) جمال سرور: تاريخ الحضارة الإسلامية، ص ٩٦.

(٢) سيده كاشف: أحمد بن طولون، ص ١٧.

(٣) البلوي: سيرة أحمد بن طولون، ص ٣٣، المقرئزي: الخطط، ج ١، ص ٣١٣.

(٤) البلوي: سيرة أحمد بن طولون، ص ٣٣.

(٥) أحمد عبد الرازق: تاريخ وأثار مصر الإسلامية، ص ٨٧، ٨٨، يوسف العث: عصر الخلافة العباسية، دار الفكر دمشق سورية ١٩٩٦، ص ١٤٥.

(٦) المقرئزي: الخطط، ج ١، ص ٢١٤.

(٧) البلوي: سيرة أحمد بن طولون، ص ٤٩.

الخراج ، فطلب ابن طولون نقله ، فنقل إلى وظيفة عامل الخراج في دمشق وفلسطين والأردن سنة ٢٥٧هـ / ٨٧٠م ، كما تخلص أيضا من عامل البريد شفير الخادم ، وانفرد تماما بشئون الولاية ، ونجح في إظهار الكيان المصري وإبرازه ، كما منحها لأول مرة تجريبه الاستقلال الذاتي<sup>(١)</sup> .

شرع أحمد بن طولون في الاستئثار بالسلطة في مصر وتثبيت أقدامه فيها وساعده علي ذلك الآتي :

١. ما حدث من انشغال الخلافة العباسية في إخضاع الثورات المتأججة في المشرق ، وثورات الزنج ، والمنازعات الحادة بين الخليفة المعتمد والموفق وكذلك ثورات ابن الشيخ<sup>(٢)</sup> .
٢. قيام الجند الأتراك بالفتن والثورات .
٣. ما كان لأحمد بن طولون من علاقات طيبة مع كبار الموظفين في الحكومة المركزية في العاصمة .
٤. استفاد ابن طولون من تكوين جيش قوي بعد أن حصل من الخليفة علي تفويض بشراء عدد من المماليك لإخضاع عيسى بن الشيخ والي فلسطين والأردن ، إذ عاد هذا الجيش بكامل قوته لما علم أن الخليفة أرسل إليه أماجور الذي هزمه سنة ٢٥٧هـ / ٨٧٠م<sup>(٣)</sup> .
٥. صار هذا الجيش أداة في يد ابن طولون يقضي به علي منافسيه والثائرين عليه .
٦. تولي أحمد بن طولون أمر الخراج والبريد مما ساعده علي استكمال سيادته علي البلاد .

(١) البلوي: سيرة أحمد بن طولون ، ص ٣٧ .

(٢) البلوي: سيرة أحمد بن طولون ، ص ٥٣ ، المقرئزي: الخطط ، ج١ ص ٣١٥ ، سيدة كاشف : الطولونيين والإخشيديين ص ١٩ .

(٣) البلوي: سيرة أحمد بن طولون ، ص ٥٠ ، ٥١ ، المقرئزي: الخطط ، ج١ ص ٣١٥ .

## أهم أعماله:

قام ابن طولون بإصلاحات اقتصادية كبيرة في مصر، فنظم ديوان الخراج واهتم بالأمن الداخلي، وأقام الجسور، وحفر الترع، وانتعشت الزراعة، ونشطت الصناعات، وراجت التجارة.

- نزل أحمد بن طولون أول الأمر بمدينة العسكر، وأسس فيها بيمارستانه<sup>(١)</sup>.
- شرع في بناء مدينة القطائع سنة ٢٥٦هـ/٨٦٩م، وأنشأ بها مسجده المعروف<sup>(٢)</sup>.
- تمكن من القضاء علي الثورات الداخلية التي نشبت ضده مثل ثورة بغا الأصغر، الذي نزل مع أنصاره بين برمّة والإسكندرية، فأرسل ابن طولون جيشاً ألقوا الهزيمة به وقتله وحمل رأسه إلى الفسطاط سنة ٢٥٥هـ/٨٦٨م<sup>(٣)</sup>.

كما شهد الوجه القبلي قرب مدينة اسنا ثورات لبعض العلويين مثل ابن الصوفي العلوي الذي أعلن الثورة وهزم فرقه أرسلها إليه ابن طولون ومثل بجثة قائدها ابن يزياد، مما اضطر أحمد بن طولون إلى إرسال قائدين من قواده هما "بهم بن الحسين وابن عجيف"، وتمكنا من هزيمة ابن الصوفي، وهرب إلى الواحات<sup>(٤)</sup>، وظهر ثائراً آخر يدعي العمري كان فقيهاً عالماً يرجع نسبه إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقضى شطراً من حياته في القيروان بين بني الأغلب، ثم انتقل إلى الصعيد الأقصى وبلاد النوبة، وتمكن من جمع أنصاره من حوله وكون جيشاً لا يستهان به وأعلن الثورة ضد ابن طولون، وظلت المناوشات بين الطرفين حتى تمكن بعض غلمان العمري من قتله وبعثوا برأسه إلى أحمد بن طولون<sup>(٥)</sup>، وبذلك تخلص ابن طولون ممن رفعوا راية العصيان ضده بجنوب البلاد، واستقامت له الجبهة الداخلية، واعترف الناس بزعامته، وعلا شأنه بحيث لا يجروء ثائر علي الخروج عليه مرة أخرى.

(١) ابن دقماق: الانتصار، ج٤ ص ٩٩، محمود رزق: المجتمع المصري، ص ٢٢١.

(٢) المقرئ: الخطط، ج١ ص ٣١٣، حسن الباشا: مدينة القطائع، القاهرة، تاريخها، فنونها، وآثارها، ص ١٦.

(٣) البلوي: سيرة أحمد بن طولون، ص ٦٢.

(٤) سيدة كاشف، حسن أحمد محمود: الطولونيين والإخشيديين، ص ٢٤.

(٥) البلوي: سيرة أحمد بن طولون، ص ٦٤-٦٦.

### علاقة بن طولون بالموفق :

جاء الخطر الحقيقي علي أحمد بن طولون من ناحية الموفق ولي عهد الخليفة المعتمد العباسي ، حيث نجح في الحصول علي تفويض من أخيه بحكم الولايات الشرقية ، فأرسل الموفق يطلب من ابن طولون الأموال والهدايا التي اعتاد إرسالها إلى الخلافة في كل عام ليستعين بها علي حرب الزنج ، فأرسل إليه ابن طولون ألف ومائتي ألف دينار عام ليستعين بها علي حرب الزنج ، فأرسل إليه ابن طولون ألف ومائتي ألف دينار (١) ، ولم يرضي هذا المبلغ الموفق ، فأعد جيشا لإخراج ابن طولون من مصر وعلي رأسه موسى بن بغا ، وحين علم ابن طولون بتقدم جيش ابن بغا أخذ في تحصين مصر وشيد أسطولا حربيا ، وأقام حصنا قويا في جزيرة الروضة (٢) . وانتهاز ابن طولون موت أماجور والي الشام سنة ٢٦٤هـ / ٨٧٧م ، وقاد جيشه إليها ، ودخل الرملة ودمشق وحماة وحمص وحلب وإنطاكية ، وفي سنة ٢٦٤هـ / ٨٧٧م امتد نفوذه حتى الرقة ، وصار ملكه يشمل مصر والشام وبقية ، وذكر اسمه في الخطبة بعد اسم الخليفة في هذه البلاد (٣) .

ولم تكن هذه الانتصارات التي حققها ابن طولون نهاية الخصومة بينه وبين الموفق ، بل زادت الخلافات واستخدم كل طرف من السلاح والمكيدة والحرب الباردة والدبلوماسية مما يحقق هدفه ، فنصب ابن طولون نفسه مدافعا عن الخلافة بالسيف وبقوه السلاح ، وأرسل إلى الخليفة المعتمد سنة ٢٦٨هـ / ٨٨١م يغيره بترك بغداد والالتجاء إلى أملاكه بمصر (٤) ، فرحب المعتمد بذلك ضجرا من أخيه ونكاية له ، وخرج بالفعل ومعه بعض خواصه بزعم انه ناهب للصيد حتى وصل إلى الرقة ، حيث كان في انتظاره ضابطان من رجال ابن طولون ، إلا أنه انكشف أمره ، فأرسل الموفق إلى عامل الموصل اسحق بن

(١) البلوي: سيرة أحمد بن طولون ، ص ٨٠، ٨١.

(٢) سيدة كاشف، حسن محمود: الطولونيين والإخشيديين ، ص ٣٥-٤٠.

(٣) الطبري: الرسل ، ج ١ ص ٣٢٣ ، البلوي: سيرة أحمد بن طولون ، ص ٩١

(٤) ابن سعيد: المغرب ، ص ١٢٦ ، البلوي: سيرة أحمد بن طولون ، ص ٢٨١ ، المقرئ: الخطط ، ج ١ ص ٣٢٠.

كنداج يطلب منه رد المعتمد<sup>(١)</sup>، واستطاع اسحق أن يقبض علي الخليفة وحاشيته وأعادته إلى أخيه الموفق<sup>(٢)</sup>.

وخلع الموفق علي اسحق بن كنداج ولقبه بذي السيفين ، وعينه علي مصر بدلا من أحمد بن طولون<sup>(٣)</sup> ، فأحضر ابن طولون قضاة أعماله واستفتاهم في خلع الموفق ، وأصدر قرار بخلعه وإسقاط اسمه من الخطبة ، ومحوا اسمه من الطران ، وأمر بلعن الموفق علي المنابر ، وذلك لمخالفته للمعتمد وحصره إياه ، ثم استخدم جيشه لإقرار سلطانه علي الحجاز والشام ومنازلة قوات الموفق في مكة<sup>(٤)</sup>.

كان رد فعل الموفق أن استصدر أمرا بلعن ابن طولون علي المنابر في جميع الولايات، وظل العداء بين الرجلين حتى رأي الموفق إن التماذي في ذلك لن يؤدي إلى خير، فراسل ابن طولون معاتبا ، واعتذر له علي ما كان من لعنه علي منابر بغداد ، ولما تأكد ابن طولون من صدق رغبة الموفق جنح إلى المسالمة واعتذر إليه ، وظلت المفاوضات ، وخرج رسول الموفق حاملا كتاب الصلح ، فلما بلغ الرقة بلغه موت أحمد بن طولون ، فعاد راجعا إلى عاصمة الخلافة وكان ذلك سنة ٢٧١هـ/٨٨٤م<sup>(٥)</sup> .

وهكذا نري أن أحمد بن طولون استمات في الدفاع عن حقوق قد اكتسبها حتى وفاته بعد أن حكم مصر ما يقرب من ست عشرة سنة وترك دولة موطدة الأركان ، حيث اهتم اهتمام بالغ بشتي مناحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية وأخضع الثورات الداخلية ، فعم الرخاء في عهده ، وكان يشرف بنفسه علي أمور الدولة ويستطلع أحوال الشعب .  
ويعد وفاه ابن طولون اجتمع الجند وبايعوا ابنه خمارويه ، حيث كان أحمد ابن طولون قد زج بابنه البكر العباس في السجن بعد العصيان المسلح الذي قام به ضد أبيه ،

(١) البلوى: سيرة أحمد بن طولون ، ص ٢٩٠ .

(٢) الطبرى: تاريخه ، ج ٨ ص ١٠٧ .

(٣) المقرئى: الخطط ، ج ١ ص ٣٢٠ .

(٤) البلوى: سيرة أحمد بن طولون ، ص ٢٩٣ .

(٥) البلوى: سيرة أحمد بن طولون ، ص ٢٩٩ ، المقرئى: الخطط ، ج ١ ص ٣٢٠ .

وظل هذا الابن في السجن بعد وفاه أبيه<sup>(١)</sup>، وانتهى الأمر بأن قتل خماريه أخاه العباس في السجن حتى تصفوا له الإمارة كلها لأنه اعترض علي مبايعته<sup>(٢)</sup>.

وفي عهد خماريه حاول الموفق الاستفادة من موت أحمد بن طولون وفكر في القضاء على استقلال مصر، وعلم بذلك خماريه حيث كانت قوات الموفق تتقدم نحو مصر بقيادة اسحق بن كنداج ومحمد بن أبي الساج، وانحاز إليها عامل ابن طولون على دمشق وسلم لابن كنداج أنطاكية وحلب وحمص، ولذا أرسل خماريه جيشين إلى الشام أحدهما بقيادة أبو عبد الله أحمد محمد الواسطي، والآخر بقيادة سعد الأيسر، وساندهما بقوة بحرية ترابط في السواحل الشامية<sup>(٣)</sup>.

هزمت جيوش خماريه عند شيرز، ودخلت القوات العراقية دمشق، ثم وصلت إلى الرملة لتشق الطريق إلى مصر، وكان ذلك بسبب خيانة الواسطي، فخرج خماريه إليهم في جيش يتكون من سبعين ألف مقاتل<sup>(٤)</sup>، والتقى بالقوات العباسية عند الطواحين على نهر أبي فطرس بين الرملة ودمشق سنة ٢٧١هـ/٨٨٤م<sup>(٥)</sup>.

وتمكن قائد خماريه سعد بن الأيسر من رد الأعداء الذين كانوا قد حققوا النصر في أول المعركة وانشغلوا بالغنائم، واضطرت الجيوش العباسية إلى التراجع نحو دمشق، فهزّمهم سعد بن الأيسر هزيمة منكرة<sup>(٦)</sup>، وهكذا تمكن خماريه من استعادة أغلب مدن الشام<sup>(٧)</sup>.

وعلى الرغم من هذا الانتصار فقد رأى خماريه أن في السلم خيرا، فكان البادئ بطلب الصلح والتفاهم مع الخليفة، فكتب للموفق في طلب الصلح وهو ببلاد الشام على

(١) الكندي: ولاية مصر، ص ٢٤٩.

(٢) الكندي: ولاية مصر، ص ٢٥٨، ابن سعيّد: المغرب، ص ١٣١.

(٣) حسن محمود: حضارة مصر في العصر الطولوني، ص ١٠٥.

(٤) الكندي: الولاية والقضاء، ص ٢٣٥.

(٥) أحمد عبد الرازق: تاريخ وأثار مصر الإسلامية، ص ٩٨.

(٦) الطبري: الرسائل، ج ١ ص ١٤٩، أبو المحاسن: النجوم، ج ٣ ص ٥٠.

(٧) حسن محمود: حضارة مصر في العصر الطولوني، ص ١٠٦.

مال يدفعه<sup>(١)</sup> ، فوافق الموفق سنة ٢٧٣هـ/٨٨٦م وأعطى له الحق في أن يحكم الدولة وأن ينفرد بها ثلاثين سنة هو وولده ، ولا يهدد بعزل أو يتدخل في شئون خماريه<sup>(٢)</sup> .

وكانت هذه الاتفاقية نصراً عظيماً توج به خماريه فوق الانتصارات العسكرية التي أحرزها ، فتمكن بعدها من بسط نفوذه على منطقة الثغور ، ومن إقرار الأمن والطمأنينة في البلاد ، وخاصة بعد تمكنه من القضاء على المحاولة الأخيرة التي قام بها ابن أبي الساج سنة ٢٧٤هـ/٨٨٧م<sup>(٣)</sup> .

وفي عهد خماريه تعززت العلاقات ، وتوفي الموفق سنة ٢٧٨هـ/٨٩١م<sup>(٤)</sup> ، ثم توفي المعتمد سنة ٢٧٩هـ/٨٩٢م ، كما عرض خماريه أن يزوج ابنته قطر الندى إلى ابن الخليفة المعتمد . المعتمد . ولكن المعتمد فضل أن يتزوجها هو ، وتم ذلك سنة ٢٨٢هـ/٨٩٥م<sup>(٥)</sup> . ظل خماريه يحكم مصر والشام لمدة اثنتي عشرة سنة حتى اغتيل في دمشق على يد بعض خدمه وجواريه بعد إتمام زواج ابنته قطر الندى بقليل سنة ٢٨٢هـ/٨٩٥م .

### أبو العساكر جيش :

خلف خماريه ابنه الأكبر أبو العساكر جيش ، وكان صغير السن في الرابعة عشرة من عمره ، ولم يكن ذا خبرة والتف حوله طائفة من الغلمان أخذوا أمره ، فاستهل حكمه بقتل عمه أبي العسائر بن أحمد بن طولون ، وأقبل على مجالس الشرب واللهو<sup>(٦)</sup> ، فنفر منه الجند وعولوا على خلعه ، وانتهى الأمر بأن خرج عليه صاحب دمشق ، وأمير الثغور ، وأسقطوا اسمه من الخطبة على المنابر<sup>(٧)</sup> .

(١) الكندي: الولاة ، ص ٢٣٨ ، المقرئ: الخطط ، ج ١ ص ٢٣١ .

(٢) الكندي: الولاة ، ص ٢٣٨ ، أبو المحاسن: النجوم ، ج ٣ ص ٥١ .

(٣) الطبري: الرسل ، ج ٨ ص ١٥٤ .

(٤) أحمد عبد الرازق: تاريخ وآثار مصر الإسلامية ، ص ١٠٠ .

(٥) الطبري: الرسل ، ج ٨ ص ١٧٠ ، المقرئ: الخطط ، ج ١ ص ٣١٩ ، أبو المحاسن: النجوم ، ج ٣ ص ٥٣ ،

السيوطي: تاريخ الخلفاء ، ص ٣٢٢ .

(٦) الكندي: الولاة ، ص ٢٤١ .

(٧) المقرئ: الخطط ، ج ١ ص ٣٢٢ ، أبو المحاسن: النجوم ، ج ٣ ص ٩١ .

وعلى الرغم من ذلك لم ينزعج أبو العساكر مما حدث واستمر في لهو، وعبثه، فاجتمع عليه رجال أبيه وقرروا ضرورة خلعه، وأشهدوا بذلك عدول البلد وتم عزه والقبض عليه<sup>(١)</sup>. خلف أبا العساكر أخوه أبو موسى هارون (٢٨٣هـ/٨٩٦م)، وبايعه الجند وجعلوا مدبر دولته أبو جعفر محمد بن أبي - من كبار رجال بن طولون<sup>(٢)</sup> فثبت أبو موسى هارون ملكه بعد أن تخلص من جميع حاشية أخيه أبو العساكر جيش<sup>(٣)</sup>، إلا أن أحوال البلاد كانت مضطربة وفسدت أحوال الجند الطولونيين المرتزقة، بجانب أن ربيعه بن أحمد بن طولون عم هارون قد أنكر ولايته وطلب الولاية لنفسه إلا أن هارون بفضل جنوده السود تمكن من القضاء على عمه ربيعة وقتله<sup>(٤)</sup>، وفي ذلك الحين ورد على هارون موت الخليفة المعتضد زوج أخته قطر الندى سنة ٢٨٩هـ/٩٠٧م، وتولى ابنه محمد الملقب بالمكتفي<sup>(٥)</sup>.

وبدأت حركة القرامطة تجتاح الشام فتصدى لها هارون، الأمر الذي استنفذ فيه جانباً كبيراً من جيشه، وزد الأمر سوءاً تلك الوحشة التي وقعت بينه وبين الخليفة العباسي المكتفي<sup>(٦)</sup>، الذي طمع في استعادة سلطان العباسيين على مصر، فندب القائد محمد بن سليمان للقضاء على آخر الطولونيين<sup>(٧)</sup>.

وبينما كان جند العباسيين يستولي على أملاك الطولونيين في الشام شهدت مصر آخر انقلاب سياسي في عهد الطولونيين راح ضحيته أميرها هارون بن خمارويه سنة ٢٩٢هـ/٩٠٤م، إذ وثب عدى وشيبان ابنا أحمد بن طولون على ابن أخيهما هارون وذبحاه، وهولا يزل في الثانية والعشرين من عمره؛ بعد أن دامت ولايته على مصر ثمان سنوات وثمانية أشهر وبضعة أيام<sup>(٨)</sup>.

(١) أبو المحاسن: النجوم، ج ٣ ص ٩١.

(٢) ابن الداية: المكافأة، ص ١٥٦، حسن أحمد محمود: مصر في عصر الطولونيين، ص ٧١.

(٣) أبو المحاسن: النجوم، ج ٣ ص ٩٩.

(٤) أبو المحاسن: النجوم، ج ٣ ص ١٠٠.

(٥) المقرئزي: الخطط، ج ١ ص ٢٢٣، السيوطي: تاريخ الخلفاء، ص ٣٢٦.

(٦) أبو المحاسن: النجوم، ج ٣ ص ١١٠.

(٧) ابن سعيد: المغرب، ص ١٤٥.

(٨) المقرئزي: الخطط، ج ١ ص ٣٢٢، أبو المحاسن: النجوم، ج ٣ ص ١١١.

بعد مقتل هارون تولى عمه شيبان مقاليد الأمور، وكان شابا في عنفوان شبابه، وكان أهوج يتسرع في أمور؛ بما لا يخدم مصالح البلاد، فقد عانى من قلة الأموال وإفلاس خزائن الدولة، فلم يتمكن من استرضاء الجند، فازدادت الأحوال سوءا وانضم جنده جماعة بعد جماعة إلى جند الخليفة المكتفى .

ووصل محمد بن سليمان القائد العباسي إلى العباسية - بمحافظة الشرقية - وحاول الجيش الطولوني صد هجماته ولكن دون جدوى، فأرسل محمد بن سليمان إلى شيبان يؤمنه وأهله جميعا، فسار إليه بأهله تاركا جنده وهم لا يعلمون بتخليه عنهم، فلما علموا بذلك تفرق أمرهم<sup>(١)</sup>، وانهاled عليهم الناس حتى صاروا يذبحون جماعة بين يدي القائد العباسي الذي أمر بإحراق القطائع ونهب الفسطاط<sup>(٢)</sup>، وبذلك انتهت ولاية شيبان التي استمرت تسعة أيام فقط وانتهت الدولة الطولونية بأكملها، واجتهد محمد بن سليمان في إزالة آثارها ولم يطل مقامه بمصر إذ استبدله المكتفى بعبسى النوشري<sup>(٣)</sup>.

وهكذا عادت مصر ولاية عباسية كما كانت من قبل بعد أن حكمها بنو طولون ثمانية وثلاثين عاما<sup>(٤)</sup>، وولي محمد بن سليمان على خراجها أبا علي الحسين بن أحمد الماذرائي، وولى على صلاتها عبسى النوشري<sup>(٥)</sup>

(١) أبو المحاسن: النجوم، ج٣ ص١٣٧.

(٢) المقرئى: الخطط، ج١ ص٢٣٢.

(٣) أبو المحاسن: النجوم، ج٣ ص١٤٧.

(٤) حمدى المناوى: مصر في ظل الإسلام، ص٦٢.

(٥) جمال الثيال: تاريخ مصر الإسلامية، ج١، ص١٠٩.